من تراب الطريق (٣١٤)

حمدى السكوت (*) وموسوعته الرائعة

(١)

لم تتح لى مقابلة الأستاذ الكبير الدكتور حمدى السكوت إلاّ مرة واحدة ، كان ذلك فى شهر مارس ١٩٧٦ .. من (٣٣) عاما .. أيامها كنت أكتب سيناريو وحوار قصة قصيرة عربية ، ثم أخرى غربية ، وهكذا دواليك .. لبرنامج «قصة قصيرة» الذى كانت تقدمه للتليفزيون الصديقة العزيزة الراحلة الأستاذة سميحة غالب ، حرم الصديق العزيز الراحل الشاعر الكبير صلاح عبد الصبور . وقع اختيارنا أيامها على تقديم إحدى القصص القصيرة للأستاذ الكبير يحيى حقى ، فالتقينا به ومعنا الأستاذ الروائى محمد الحديدى بفندق شبرد بإحدى أمسيات أوائل مارس ١٩٧٦ . وقع اختياره يومها على قصة له بعنوان : «امرأة مسكينة» ، ولم تكن مجموعة أعماله الكاملة التى يحسب جمعها ونشرها للأستاذ فؤاد دوارة قد اكتمل نشرها ، ولا كانت قصة : «امرأة مسكينة «قد نشرت حتى ذلك الوقت فى أى مجموعة قصصية ، لذلك فقد أعطانى الأستاذ الكبير تفويضا بلا تخصيص لاختيار إحدى قصصه القصيرة لتحويلها إلى تمثيلية وعرضها بالتليفزيون . ولك أن تدهش أن الأستاذ الأديب الفذ لم يشترط مقابلا على التليفزيون إلاّ (١٥٠) جنيها فقط !

لم أشأ أن أستغل التفويض الواسع دون تحقيق رغبة الأستاذ يحيى

(*) المال ١٩/٨/٢٠٠٩

حقى فى أن يكون السيناريو والحوار لقصته : «امرأة مسكينة»، والتى لم يكن يتذكر متى وأين نشرت ، فسألته أن يعطينى أى «أمارة» تهدينى فى البحث عنها ، ولم أكن قد قرأتها ، فأحالنى وكان على سفر صباح اليوم التالى لباريس إلى الدكتور حمدى السكوت ، ولم ينس أن يعقب بأننى سأجده فى الجامعة الأمريكية التى كان يعمل بها أستاذا للأدب العربى .

ذهبت إلى الجامعة الأمريكية مترددا ، فلم أكن قد دخلتها قط ، ولم يسبق لى أى تعارف بالأستاذ الدكتور حمدى سكوت حتى أحمّله عبء البحث لى عن قصة غير معروف مكان وتاريخ نشرها.. حتى ليحيى حقى نفسه الذى غادر إلى باريس قبل أن تتاح له فرصة تقديمى للدكتور السكوت . كان طبيعيا أن أتردد وأن أذهب إلى الرجل خجلا أقدم رجلا وأؤخر أخرى ، ولكن لفتنى أن الأستاذ المشغول جدا بعمله ، قد استقبلنى بترحيب ألوف ، وانتزع نفسه فورا من أعماله ، وعكف عكوفا لافتا على البحث عن القصة فى فهارسه وجداوله وأوراقه ، ولم يرفع رأسه عن الأوراق إلا بعد أن أفادنى بأن القصة نشرت بالأهرام بعدد الجمعة ٣١/ ٣/ ١٩٦١.

انصرفت وأنا أكاد لا أصدق ما لقيته من ترحاب لدى هذا العالم الأديب .. الواضح تقديسه لعمله واعتياده على العطاء ، واحترامه أيضا وتقديره الكبير لكاتبنا الفذ الأستاذ يحيى حقى . فى اليوم التالى كنت فى جريدة الأهرام ، ولكن فى مبناها الجديد الذى لم آلفه كما كنت قد ألفت المبنى القديم بشارع مظلوم الذى كنت كثيرا ما ألجأ إلى قسم المعلومات به لأبحث عما أريد فى سهولة ويسر بلا عقبات ولا تعقيدات . لم أجد شيئا كبيرا قد تغير فى قسم المعلومات بالمبنى العملاق الكبير ، ما إن عرف

القائم عليه ببغيتى ، حتى أحضر لى مجلدا ضخما لأعداد الأهرام يتضمن عدد ٣١/ ٣/ ١٩٦١ ، فجلست إلى المنضدة وقد امتشقت قلمى وفردت أوراقى وشرعت فى النسخ ، بينما المختص ينظر إلىّ مشفقًا من حجم القصة ، ولم تكن آلات التصوير قد تدوولت بعد فى مصر ، فشجعتنى نظرته المشفقة على أن أسأله : هل من بديل لعذاب وجهد عملية النسخ ، فسارع مبتهجًا بإنبائى بأنه يمكن تصويرها بالزنكوغراف على نفقتى ، وقد كان .. وانصرفت شاكرًا لأمين القسم هذا العون الكبير الذى اتصل بالنجدة التى أغاثنى بها الدكتور حمدى السكوت .

من يومها ظل قلبى معلقا بالدكتور السكوت ، مفعما باحترامه وتقديره ، ما أكاد أسمع عن عمل قدمه أو نهض عليه حتى أسرع بالبحث عنه واقتنائه والعكوف عليه .. لا زلت أدين على البعد لهذا العالم الأديب بفضل ما أطللت عليه من عالم العقاد وطه حسين والمازنى وأحمد أمين وغيرهم ، ضمن مجلدات سلسلة «ببلوجرافية» نقدية لأعلام الأدب المعاصر فى مصر . وظلت الأيام تترى إلى أن سمعت عن «قاموس الأدب العربى الحديث» .. الذى أخرجه وحرره الدكتور حمدى السكوت ومعه مجموعة من العلماء والأدباء والمبدعين ، فسارعت إلى شراء هذه الموسوعة الضخمة القشيبة النفيسة التى بلغت (٦٤٠) صفحة بالقطع الكبير ، أما ماذا وجدت فى هذه الموسوعة ، فلذلك حديث آخر أرجو أن ألتقى معك وإياه فى حديث الغد إن شاء الله .

*****